المعارف الإلهية (شرح حديث من عرف نفسه)

سیّد احمد حسینی علوی عاملی (قرن ۱۱ ق)

تحقیق: مهدی مهریزی

درآمد

دربارهٔ «حدیث معرفت نفس» و منزلت آن نزد حکیمان و عالمان مسلمان، و مصادر و شروح نگاشته شده بر آن، در دفتر اوّل **میراث حدیث شیعه**، به هنگام تصحیح رساله‌ای در شرح حدیث «**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**»[1] مطالبی به قلم آمد.

در این جا یکی دیگر از رساله‌هایی که در شرح این حدیث نگاشته شده، تصحیح می‌گردد. این رساله، از آنِ سیّد احمد بن سیّد زین العابدین حسینی عاملی است.

در **ریاض العلماء** دربارهٔ نویسندهٔ این رساله آمده است:

> عالمٌ فاضلٌ زاهدٌ محقّق متكلّم من تلامذة مير محمّد باقر الداماد و قد أجاز له إجازة أثنى عليه فيها و ذكر أنّه قرأ عنده بعض كتاب **الشفاء** و غيره و قرأ عند الشيخ البهائي.[2]

همین عبارت در **أمل الآمل** نیز آمده است.[3]

علامهٔ امین نیز به اجمال از شرح حال وی سخن گفته و آورده که در ایران و در خاندانی بزرگ و دانشمند، پرورش یافت و نزد میرداماد و

---

۱. میراث حدیث شیعه، دفتر اوّل، ص ۱۴۳ـ۱۴۶.

۲. ریاض العلماء، ج ۱، ص ۳۱.

۳. أمل الآمل، ج ۱، ص ۳۳.

شیخ بهایی تلمّذ نمود و از هر دو اجازهٔ حدیث دریافت کرد و نیز دامادِ میرداماد بود.

همو از وی با لقب سیّد کمال الدین یا سیّد نظام الدین امیر احمد یاد کرده و برایش دوازده اثر نیز گزارش کرده است.[۱]

محقّق کتاب **تقویم الإیمان** میرداماد و شرح آن **کشف الحقائق**، از سیّد احمد حسینی عاملی شرحِ حالی نسبتاً جامع ارائه کرده و تحقیقاتی را به مطالب علامهٔ امین افزوده است. از جمله، وفات او را میان سال‌های ۱۰۵۴ و ۱۰۶۰ قمری می‌داند. وی همچنین تألیفات سیّد احمد را بالغ بر ۴۱ اثر دانسته است.[۲] البتّه در **موسوعة مؤلفي الشيعة** ۵۱ اثر از او نام برده شده است.[۳] سیّد احمد، در اصفهان درگذشت و در تکیهٔ آقا رضی به خاک سپرده شد.

دربارهٔ این رساله

شیخ آقابزرگ در الذریعة دربارهٔ رسالهٔ یاد شده می‌نویسد:

> **معارف الإلهية في شرح حديث «من عرف نفسه عرف ربه»** للسيد أحمد بن زين العابدين العلوي العاملي، تلميذ المحقّق الداماد و صهره و المجاز منه سنة ۱۰۱۷. أوّله: [الحمد لله الذي جعل الإنسان مظهراً لما في الأكوان، و الصلاة على رسوله المبعوث إلى الإنس و الجان].[۴]

علامهٔ امین نیز تنها **المعارف الإلهية**[۵] را در زمرهٔ آثار سیّد احمد حسینی عاملی برمی‌شمُرَد و به **شرح حدیث معرفت نفس**، اشاره‌ای ندارد.

میرزا عبدالله افندی در **ریاض العلماء**، در شرح حال سیّد ماجد، به این

---

۱. أعيان الشيعة، ج ۳، ص ۲۴۳ـ۲۴۶، موسوعة التاريخ العربي.
۲. تقويم الإيمان، ص ۱۳۸.
۳. موسوعة مؤلفي الإمامية، ج ۳، ص ۵۶۴ـ۵۷۷.
۴. الذريعة، ج ۲۱، ص ۱۹۰.
۵. أعيان الشيعة، ج ۲، ص ۲۴۶.

رساله اشاره دارد و می‌نویسد:

و له (للسيد ماجد) رسالة في تحقيق معنى قوله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» و قد ردّ رسالته هذه السيّد الأمير أحمد، صهر السيّد الداماد برسالة رأيتها.[1]

سیّد احمد، این رساله را در بررسی و ردّ رسالهٔ یکی از عالمان معاصر خود نگاشته است، چنان که در مقدمه آورده است «فلما وصل إلينا»؛ لیکن به صراحت از نویسنده یاد نکرده است. امّا از آن جا که از او با عنوان «بعض أماجد زماننا» یاد کرده و در دعایش نوشته «لا زال کاسمه ماجداً»، روشن می‌شود که نامش «ماجد» بوده و بیش از این از متن رساله به دست نمی‌آید.

امّا تصریح میرزا عبدالله افندی ـ در عبارتی که پیش از این نقل شد ـ نام او را کاملاً روشن می‌سازد؛ چرا که به صراحت نوشته که سیّد ماجد، رساله‌ای در شرح «حدیث معرفت نفس» داشته و سیّد احمد، آن را رد کرده و او این ردیه را رؤیت کرده است.

بدین ترتیب، نویسندهٔ رسالهٔ نخست، سیّد ماجد بن هاشم بن علی بن مرتضی بحرانی بوده است که در أمل الآمل، چنین توصیف شده:

كان فاضلاً جليلاً شاعراً أديباً، له رسالة في الأُصول، اجتمع مع الشيخ بهاء الدين محمّد العاملي و كان بينهما مودّة، و كان الشيخ يثني عليه و يبالغ في ذلك.

افندی در ادامه می‌نویسد:

و كان ساكناً بشيراز و مات بها، و قبره في مقبرة السيّد أحمد بن موسى الكاظم الشهير بـ«شاه چراغ» و قد زرته بها، و كان ممّن يقول بوجوب صلاة الجمعه و يواظب عليها.

---

۱. ریاض العلماء، ج ۵، ص ۵.

وفات وی را سال ۱۰۲۸ق، گفته‌اند[۱] و آثاری که در الذریعة برایش معرّفی شده عبارت‌اند از: **حاشية على الاثني عشرية الصلاتية، سلاسل الحديد في تفنيد أهل التقليد، فصوص سليمانية** (شرح دعای بیت المعمور «یا من أظهر الجميل ...»)، **مقالة في العام المخصص، المقامات، رسالة في مقدمة الواجب، الرسالة اليوسفية، تحفهٔ سليمانيه** (ترجمه و شرح عهدنامه مالک اشتر)، تذکرهٔ **سليمانيه** (ادعیه)، **شرح دعای عرفه.**[۲] (چاپ شده در مجلّهٔ «میقات» سال دوم، ش ۳، ۱۴۱۶ق).

یاد آور می‌شود که در **رياض العلماء**، دو نام ذکر شده است: یکی سیّد ماجد بن علی بن مرتضی بحرانی و دیگری سیّد ماجد بن هاشم بن علی بن مرتضی بحرانی، و در پایان نوشته است:

و يحتمل اتحاده مع الأوّل بل الظاهر ذلك.[۳]

گفتنی است از رسالهٔ سیّد ماجد در شرح «حدیث معرفت نفس»، تاکنون اطّلاعی به دست نیامده است.

شیوهٔ تصحیح

از این رساله، دو نسخه با مشخّصات زیر موجود است:

۱. یزد، کتاب خانهٔ شیخ علی علومی، ش ۶۲، به خطّ مؤلف.[۴]

۲. مرکز احیای میراث اسلامی، ش ۲۹۹۳، کتابت قرنِ دوازدهم.[۵]

در تصحیح رساله، نسخهٔ دوم، اساس کار قرار گرفته است.

---

۱. رياض العلماء، ج ۵، ص ۷؛ أعيان الشيعة ـ المستدركات، ج ۱، ص ۱۳۷.

۲. معجم مؤلفي الشيعة، ص ۶۰.

۳. رياض العلماء، ج ۵، ص ۷.

۴. نشریهٔ نسخه‌های خطّی، ج ۴، ص ۴۴۷.

۵. فهرست مرکز احیاء، ج ۸، مخطوط.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين بالعلم الحكيم

الحمد لله الذي جعل الانسان مظهرا لما في الاكوان والصلوة على رسوله المبعوث الى الانس والجان وآله الهادين الى رحيق العرفان اما بعد فلما وصل الينا ما سئلتم في معنى الحديث المرتضوي بعض اماجد زماننا واماثل اوانه لازال كاسمه ماجدا واوانه الله نعم مجدده بوجوده آمين فلا بد علينا ان نوجهنا اليه بعين الوداد والله ولي الفضل والرشاد وذلك حيث قال امير المؤمنين وسيد الوصيين وربما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله من عرف نفسه عرف ربه وقد ذكر في معناه وجوه كثيرة منها ان الانسان مشتمل على غرايب الصنع ودقايق الخلق حتى قيل انه عالم صغير لما فيه من العالم الكبير وان العالم الآخر مشتمل على ما في الانسان انتهى بما تقرر على نظم الطبيعي ان الانسان لما كان عين الاعيان ومنتخب ما في الاكوان بحيث لا يدع صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فيشبه ان تكون نسبته اليها نسبة القرآن الى الكتب السماوية بما سرنا لاحقة الله مع وجازته على جميع ما فيها ولا يبعد ان يكون المراد من الكتاب المبين في قوله العزيز في غير موضع هو هذا يرشدك اليه ما نطق به كلام الله الناطق بقوله العلي شعر وانت الكتاب المبين الذي باحرف يظهر المضمر فبالجملة ان هذه الشاهدة المقدسة وان كانت صغيرة صورة لكنها كبيرة سيرة واما بالنسبة الى من العوالم بسرها فما هي تفاصيل ما انطوى فيها فيكون الكل في الكل كما هو الظاهر من التامل في قوله تعم كتاب احكمت ايا ته ثم فصلت عن لدن حكيم خبير وما يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وفي قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال رئيس صناعة الحكمة في الهيات شفاءه ان النفس الناطقة كالمرآة التي من شانها ان يصير فيها عالما معقليا مرتسما فيه صور الكل والنظام المعقول في الكل والخير الذي يفيض في الكل مبتدا من مبدا الكل وسيالا الى الجواهر الشريفة الروحانية

قال ص

وفي ذاته لكما بين في غير هذا الموضع بل قيل انه العالم الكبير ص

في قوله ص

من صنع الازل على بياكل الماهيات آثار توجبه حيما يرشد اليه
قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الا
كل شئ ما خلا الله باطل ثم لا يخفى ان المراد من المعرفة هنا مطلق العلم به
وان كان في بعض التصديق ثم ذكر ذلك الفاضل الماجد وهنا ان ادراك
حقيقة النفس متعذر او متعسر الى قوله واذا كان هذا حال النفس مع انها
ادنى الاشياء والى نفسها كيف يطمع في ادراك الواجب الحق والظاهر
ان المعرفة عند اربابها بمعنى حيث انها الادراك التصوري بسيطا
الحقيق كما لا يخفى فيناسب هذا التقرير غاية المناسبة ذاتها ونهاية العائقة
اسنادا وان صح اطلاقها على العلم التصديقي كما مر كما لا يخفى على الفطن و
اذا تقرر هذا فنقول لسنا عدم تعقل النفس فنناسب علة جهلهم ذاتها و
عدم تركيبها من الاجزاء المعنوية وان تركبت من الاجزاء العنصرية كما لا يخفى
فمن عجز عن معرفة نفسه فاحرى ان يعجز عن معرفة ربه تشعر وليس
يعرفه من ليس يشهد وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف وانما ذلك كما طة
الصرفة الاحدية وجوبية الصمدية المقدسة عن الكثرة قبل الذرات وبعد الذرات ثم قال والغرض استماع ادراك حقيقة الواجب تعليقه على ما
علم استحالته لا الاستدلال على امتناعه لرد عليه ان استثناء نقيض المقدم
لا ينتج هذا كلامه ولا يخفى عليك ان هذا لازم ما يكون مساويا للملزوم فينتج
استثناء نقيض المقدم نقيض تاليه كما ينتج عكسه وكذا الامر في استثناء
عين التالي ولعل الامر مما نحن بصدده كذلك فنتزع على فيه كلاما فوق هذا
فلا حاجة لي الى ما التزمه بقوله ويمكن رده الى قياس استثنائي بالنظر الى ما
يعلمه الكلام كما ذكرنا بالنظر الى ظاهره وحاصله لو عرف ربه عليه السلام

عما دى عنه شعر كيفية النفس ليس الموجد كما تكيف كيفية الجاري في القدم هو الذي
اوجد الاشياء من عدم تكيف بدركم مستحدث الى منتهى يعني ان ليس في
الممكن الحدث ووجوده ان يقدر قدر الواجب القديم حتى يدركه ولا يقدر الله حق قدره ويعرفه
توقفه على ضرب من المناسبة الحقيقية او المجازية وليس ولا يكون بين الممكن المحدث
والواجب القديم تكيف لم الوصول الى ادراك ذاته لانه ومالا يجوز عليه الفناء
بل انه الفناء بذاته حين البقاء فضلا عما هو من الاحوال فلا يناسب يوجد ما
ذلك البديع المتعال ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ومن هنا جاء دعاؤه
كلما في ذات الله حتى تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته بهذا سبحان من جعل
لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته وبالحيرة في كانت النفس فطرات
فطرات سحاب رحمته ورشحة من رشحات بحار رأفته كيف لا تكون لاحية بحرا حيث لا
ساحل لها فاذا رأيت تلك المعرفة الوجوبية الربوبية على معرفة جوهر
نفسها فتبحر فيها بزعم انك امواج البحر وتلاطم امواجها ومن هنا قيل النفس بحر
لا ساحل له فاحالهم في المعرفة عليهم مثل دخلوا بحرا معرفتهم غرقوا او ما بر جوفا
امواج البحر فكرة وكثيرا الى ان عرفوا ان معرفتهم بحر لا ساحل له فينتهي اليه
فينعلم الى معرفة الربوبية فيسوا وبهذا تعلق كلام الله الناطق لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك فقد استبان ان مسلكهم ذاك على ذاك لا يكون
مسلكا دليلا قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وزدني فيك
تحيرا لعل آياتك الكبرى انك على كل شئ قدير او من تضاعيف الكلام ظهر الدفاع
الاختلاف بانه اذا لم يكن بين الرب والمربوب والرازق والمرزوق مناسبة ترجع

تصوير صفحة آخر المعارف الإلهية (شرح حديث من عرف نفسه)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ونستعين بالعليم الحكيم

الحمد لله الّذي جعل الإنسان مظهراً لما في الأكوان، والصلاة على رسوله المبعوث إلى الإنس والجانّ، وآله الهادين إلى رحيق العرفان.

أمّا بعد: فلمّا وصل إلينا ما سلكه في معنى الحديث المرتضوي بعض أماجد زماننا وأفاضل أواننا ـ لا زال كاسمه ماجداً، أدام الله تعالى مجدَه بجوده أبداً ـ فلا جناح علينا إن توجّهنا إليه بعين الوداد، والله وليّ الفضل والرشاد.

وذلك حيث قال: قال أميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين، وربّما يُروىٰ عن النبيّ ـ صلّى الله عليهما ـ: **من عرف نفسه عرف ربّه**،[1] وقد ذُكر في معناه وجوه كثيرة، منها أنّ الإنسان مشتمل على غرائب الصنع ودقائق الخلق حتّى قيل: إنّه عالم صغير لمساواته العالم الكبير ومحاذاته له، كما بُيّن في غير هذا الموضع، بل قيل: إنّه العالم الكبير، وإنّ العالم الآخر مشتمل على ما في الإنسان، انتهى بما تقريره على نظمه الطبيعيّ.

إنّ الإنسان لمّا كان عين الأعيان ومنتخب ما في الأكوان بحيث لا يدعُ صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها، فيشبه أن تكون نسبته إليها نسبة القرآن إلى الكتب السماويّة بأسرها؛ لاحتوائه مع وجازته على جميع ما فيها، ولا يبعد أن يكون المراد من الكتاب المبين في قوله العزيز في غير موضع هو هذا؛ يرشدك إليه ما نطق به كلام الله الناطق بقوله العليّ شعر:

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر[2]

وبالجملة: إنّ هذه النشأة المقدّسة وإن كانت صغيرة صورة، لكنّها كبيرة سيرة،

---

١. عوالي اللئالي، ج ١، ص ٥٤ و ١٠٢؛ تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٨٥؛ المناقب، ص ٣٧٥؛ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، ج ٨، ص ٣٥٩؛ و نيز رجوع شود به: ميراث حديث شيعه، دفتر اول، ص ١٤٣.

٢. ديوان الإمام علي عليه السلام، ٥٧؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٩٢؛ شرح الأسماء الحسنى للسبزواري، ج ١، ص ١٦.

وأمّا ما سواها من العوالم بأسرها فإنّما هي تفاصيل لما انطوى فيها فيكون الكلّ في الكلّ كما هو الظاهر من التأمّل في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1] وفي قوله: ﴿مَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2] وفي قوله: ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3].

قال رئيس صناعة الحكمة في إلهيّات شفائه: إنّ النفس الناطقة كمالها الخاصّ به[4] أن يصير عالَماً عقليّاً مرتسماً فيه صور الكلّ والنظام المعقول في الكلّ والخير الفائض في الكلّ مبتدءًا من مبدأ الكلّ وسالكاً إلى الجواهر الشريفة الروحانيّة[5] /۲/ المطلقة، ثمّ الروحانيّة[6] المتعلّقة نوعاً مّا من التعلّق بالأبدان، ثمّ قال لك[7] حتّى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كلّه، فينقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كلّه مشاهداً لما هو الحُسنُ المطلق[8] والخير المطلق والجمال الحق ومتّحداً به[9] ومتنقّشاً بمثاله وهيئته ومنخرطاً في سلكه وصائراً من جوهره[10]، انتهى مرشداً في ما ادّعينا.

ثمّ لا يخفى أن قوله[11] سبحانه محمول على معنى آخر على ما سلكه معلّم الكلّ في الكلّ مُقنّن رحيق التحقيق من عدّة السبل ـ أدام الله لواء تعليمه على رؤوس

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

۱. سورة هود، الآية ۱.
۲. سورة يونس، الآية ٦١.
۳. سورة الأنعام، الآية ٥٩.
٤. في الهامش: باعتبار الإنسان.
٥. في الهامش: أي العقول الصرفة، وهي أحد وخمسون على مشرب التحقيق، ويقال لها: الكرّوبيون. «م».
٦. في الهامش: أي النفوس الفلكية التي تحرك الأفلاك والنفوس العناصر.
۷. في الهامش: خطاب للنفس.
۸. أي ذات الواجب جل مجده. «م».
۹. أي: لا يرى نفسه في البين. «م».
۱۰. (الإلهيات) الشفاء، ص ٤٢٥، القاهرة.
۱۱. أي ﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾ وغير ذلك. «م».

المتعلّمين إلى يوم الدين ـ في آخر كتابه التقديسات بقوله: ولعلّ في قوله عزّ من قائل: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[1] إشارة إلى الإحاطة[2] بالأسباب المنتهية إلى شخصيّات نظام الوجود، فهي مفاتيح الغيب، وليس يحيط بجميع الأسباب[3] إلّا هو. ثمّ في قوله الكريم: ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وكذلك في كريمة أُخرى: ﴿وما يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين﴾ إن سيق القصد إلى انكشاف الموجودات بحسب وجوداتها العينيّة رِيمَ بالكتاب المبين شخصُ النظام الجملي التامّ المتّسق، وإن سيق إلى معلوميّتها بحسب صورها المنطبعة في المدارك العقلانيّة والنفسانيّة عُني به جوهر مفارق تنتقش فيه صورة نظام الوجود من أوّله إلى أقصاه، والله عنده علم الكتاب، انتهى.[4]

ثمّ لا يخفى أنّ الكتاب المبين على ما سلكه ـ دام ظلّه ـ أوّلاً وإن كان آخر مراتب القدر ولكن يجري فيه القضاء العينيّ باعتبار آخر على ما إليه الإشارة بقوله الشريف: «شخص النظام الجملي»؛ لإشعاره بأخذه مرّة واحدة لا تفصيل فيه ولا الكثرة الإفراديّة تعتريه[5] المعبّر عنه بالسلسلة العرضيّة تارةً، وبالمبدع أُخرى؛ لعدم واسطة شرط بينه وبين مبدئه أصلاً، كما يعبّر عنه بما له من الاعتبار[6] الأوّل بالسلسلة الطوليّة على ما إليه الإشارة الإلهيّة بقوله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[7] الآية.

ونعم ما قال رئيس صناعة المشّاء أبو علي بن سينا[8]:

إذا نسبت العلّة الأُولى إلى الكلّ معاً كان مُبدِعاً، وإذا نسبت بالتفصيل لم يكن / ٣ / مبدعاً

---

١. الأنعام، الآية ٥٩.

٢. أي بإحاطة الله تعالى. «م».

٣. أي بالكلية، وقول الشيخ محمول بالوجه. «م».

٤. التقديسات، المخطوطة، ص٣٧ـ٣٨.

٥. الاعتراء: الإحاطة. «م».

٦. أي اعتبار التفصيل الذي آخر مراتب القدر. «م».

٧. سورة هود، الآية ١.

٨. سين: قرية في البخارى.

لكلّ شيء بل لما لا واسطة بينه وبينه[١].[٢]

هذا، فقد ظهر أنّ نسبة الصادر الأوّل في هذه السلسلة كنسبة جملتها في المبدعيّة إلى مَبدئها؛ لعدم توسّط شرط ما بينهما، وإنّما قيّدنا ذلك بالقضاء العينيّ حيث إنّ هنا قضاء آخر علميّاً سابقاً على الموجودات الخارجيّة من الصور الثابتة في العالم العقلي على الوجه الإجمالي الكليّ مجتمعةً مجملةً على سبيل الإبداع، والقدر عبارة من حصول صور الموجودات في العالم النفسي على الوجه الجزئي التفصيلي مطابقة لما في الموادّ العينيّة من الصور والأعراض التابعة للطبائع على حسب اختلاف استعداد الموادّ القابلة المرتبطة بالمبادئ الفاعلة من الأنوار[٣] الشاهقة والأنفس والأجرام الفلكيّة بما يلحقها من الأوضاع والحركات والعوارض والهيئات تباعاً لمحرّكاتها من الأشواق والتصوّرات إلى أقصى الغايات وقصوى النهايات أي عنايته الأزليّة المرسومة بإحاطته بجميع العاليات والسافلات.

وبالجملة: المعتبر في القضاء العلمي أن يكون في حيّز الإبداع، فتكون صور الموجودات الجزئيّة المتغيّرة الفاسدة هناك متميّزة بوجوه كليّة منضمّ بعضها إلى بعض، حتّى انحصر جملةٌ منها بحسب الصدق في جزئيّ جزئيّ من تلك الصور. هذا إذا اعتبر في القضاء الصور في حدّ الإبداع، وأمّا إذا لم يعتبر ذلك يكون كلّ سابق من المراتب التفصيليّة قضاء لما يتلوه؛ لكونه مجملاً بالقياس إليه.

وأمّا القضاء العلمي للجوهر الصرف الذي هو العقل الأوّل أو القلم أو الحقيقة المحمّديّة ـ على اختلاف التعبيرات ـ فذات مُبدعه لقربه إليه بحسب السلسلة الطوليّة، بل إنّه لما كان وجوداً علميّاً للجميع لكونه مَبدئه فيكون هو الكلّ في وحدة، فيكون قضاء وذلك قدراً.

ثمّ لا يخفى أنّ الظاهر من الآية الكريمة الإلهيّة أن يكون للأشياء وجود بحسب

---

١. في الهامش: أي الموجد والعلّة الأولى.

٢. الشفاء (الإلهيات)، ص٣٤٢، القاهرة.

٣. أي العقول المرتفعة. «م».

القضاء مقدّم على وجودها بحسب القدر، وكلّ شيء ﴿عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[١]؛ ضرورة أنّ تنزيل الشيء فرع أن يكون له وجود على نحو آخر، وتمام التحقيق في ما أوردناه في شرحنا لكتاب **تقويم الإيمان**، وفيه من المزايا في الخبايا.[٢]

ولنرجع إلى ما قصدنا، فنقول: إنّ ما وقع عن بعض الأماجد /٤/ بقوله: «حتّى قيل: إنّه عالم صغير لمساواته الكبير ومحاذاته له، اه»، ثمّ لا يخفى أنّ العالَم لمّا كان ما يعلم به الشيء كالخاتم ما يختم به، ومن البيّن أنّ متتبّعي الآفاق والأنفس اصطلاحُهم على إطلاق العالَم بهذا المعنى على كلّ ذرّة من الذرّات لكونها مرآةً لمعرفة الواجب بالذات حسبما تغلب عليها نشأة من النشئات، سيّما هذه النشأة المقدّسة الإنسانيّة الجامعة للمجرّدات والماديّات الدالّة على ما له من الصفات؛ يرشدك إليه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[٣]، ومن هنا أنّ كلّ ما في الوجود عالم من العوالم، شعر:

سبحان من جعل العوالم كلّها مجموعةً في فطرة الإنسان

فتعيّن أن يكون المراد منه[٤] معنى آخر وهو ما سواه ـ تعالى مجده ـ على ما هو الظاهر.

وبالجملة: إنّ العالَم لمّا كان عبارة عمّا سواه تعالى، والإنسان مُنتخب عنه أُنموذجٌ له، يكون عالماً صغيراً بالقياس إليه، فقد استبان أنّ إطلاق العالم عليه بمعنيين: أحدهما كونه مرآةً له تعالى مجده، وثانيهما كونه أُنموذج ما سواه تعالى عزّه، وكلّ من الموجودات من العاليات والسافلات متساوية الأقدام في كونه عالَماً بالاعتبار الأوّل دون الآخر، فتدبّر.

وأمّا ما وقع عنه أيضاً بقوله: «إنّ العالَم الآخر مشتمل على ما في الإنسان» فلا يعجبني؛ ضرورة أنّ اشتماله على ما فيه لا اختصاص له به؛ لاحتوائه على كلّ ذرّة من الذرّات وما فيها، وأمرُ ما فيه لا يخفى على أُولي النهى، مع جريان المناقشة فيه بنفسه

---

١. سورة الحجر، الآية ٢١: ﴿وَإِنْ مِن شيءٍ إلّا عندنا...﴾.

٢. در آثار نويسنده از چنين كتابى ياد نشده است، **تقويم الإيمان**، ص ١٤٩ ـ ١٥٣.

٣. سورة الإسراء، الآية ٤٤.

٤. أي: من العالم في قوله: إنّه عالم صغير. «م».

وعدم ملاءمته لما أورده متّصلاً به بقوله:

وتـــزعم أنّك جـــزء صـــغير وفيك انطوى العـالم الأكـبر

أمّا الأوّل فلأنّ كلّ ما في العالم منطوٍ في الإنسان من غير عكس على ما هو الظاهر بعين العرفان، ومن هنا وقع عنهم: لو أن العرش وما حواه ألف مرّة في زاوية قلب العارف لما ملأه.

فإن قلت: أليس الإنسان جزءاً من العالم فكيف يزيد على الكلّ؟

قلت: أمّا أوّلاً فلأنّ المراد من العالم ما سوى هذه النشأة المباركة، وأمّا ثانياً فلأنّ العارفين المحقّقين من أُولي القلوب السائرين في فضاء ساحات /٥/ الغيوب يجعلونه من حيث الوجود العيني وما يشتمل عليه من الأجزاء والأحوال بحسبه جزءاً من العالم حتّى يكون العالم الصغير هو الموجودات العينيّة، والعالم الكبير هذه النشأة الإنسانيّة بجميع ما يشتمل عليه من الموجودات الذهنيّة والعينيّة، فيزيد على العالم الكبير بما لها من الموجودات الذهنيّة.

فإن قلت: العالم الكبير أيضاً يشتمل عليها؛ إذ العقول والنفوس الفلكيّة ناطقة كما هو المشهور لدى النهى.

قلت: أمّا العقول فلا إحساس لها رأساً؛ ظاهراً وباطناً، وأمّا النفوس الفلكيّة فلا إحساس لها بالحواسّ الظاهرة قطعاً، وأمّا سائر الحيوانات أُولوا القوى والآلات[1] فليس إحساسها كإحساسها؛ لكون المدرك هنا هو الجوهر المجرّد كما لا يخفى وإن كان ذلك بالآلات والقوى، وهو بخلاف ما عليه أمر غيرها، وفيه من التأمّل بَعدُ من وجهين[2]، بل الظاهر لدى النهى أنّ هذه النشأة المقدّسة جامعة جميع الكمالات، مستجمعة جُمَل السعادات، مستعدّة لقبول طرفي التضاد؛ كما يظهر من التدبّر في ما ذكره خير البشر وقالع باب خيبر ـ صلوات الله عليه ـ بقوله العزيز:

---

١. عطف تفسيري للقوى. «م».

٢. أحدهما وجود الإدراك بالآلة في غيرها، وثانيهما أنّ أرباب الأذواق من أهل الإشراق ذهبوا إلى تعلّق الجوهر المجرّد بغيره من الحيوانات أيضاً فلا مزيّة على غيره من هذه الجهة أيضاً، «منه».

دواؤك فيك وما تَبْصُر وداؤك منك وما تَشْعُر[١]

فتكون النسبة الصحيحة حاصلةً لها إلى لطائف الملكوت بروحها وإلى كثائف الناسوت[٢] ببدنها إن ساعدته السعادة الأزليّة، ووفّقته العناية الإلهيّة بتقوية الروح القدسيّة بأغذيتها وأشربتها، وهي الإيمان والطاعة والمعرفة و الطهارة في الآخرة والأُولى، وتحفّظها عن السموم المهلكة وهي الكفر والمعصية والغفلة، بلا خفاء طلعت شمس روحه عن مشرق فتوحه مشعشعةً بانعكاس أنوار التجلّي عليه من سرادقات[٣] الجمال، ملتمعةً بأشعّة الفيوض القدسيّة من سبحات[٤] الجلال، حتّى عزلت عمّال حواسّه عن الأعمال، بل انعزلت عَمّا لها من[٥] الذات والذاتيّات، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾[٦] على ما يرشدك إليه: **فإذا أحببته كنتُ سمعه وبصره ويده ورجله؛ فبي يسمع وبي يُبصر، وبي يبطش، وبي يمشي**، فإذاً انقطع عن نفسه واتّصل بالحقّ عن خلقه، فرأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته، وكلّ علم مستغرقاً في علمه، وكلّ إرادة /٦/ مستغرقة في إرادته، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[٧].

ومن هنا الفقر كاد يكون كفراً[٨]، أي الفقر التامّ المعنى بالسرّ الخفيّ الإلهي يكاد أن يكون كفراً أي سرّاً مغطّى مستتراً لا ينكشف إلّا لمن ارتفعت كينونته ورفعت بينونته، و فني[٩] اسمه ورسمه، أو موهماً كفره؛ وذلك لأنّه لمّا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد ويتمّ العرفان بحيث يضمحلّ ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عمّا سواه تعالى، ولا يرى في الوجود إلّا الله فيطلع عن مشرق فنائه

---

١. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي، ج٢، ص١٣٦؛ كتاب الأربعين للشيخ الماحوزي، ص٢٨١؛ مجمع البحرين، ج١، ص١٢٢.

٢. أي الظلمة. «م».

٣. في النسخة: «سراقات»، وهو تصحيف. وفي هامشها: أي الحجب.

٤. مراتب الصفات السلبية. «م».

٥. بيان ما. «م».

٦. سورة الفرقان، الآية ٧٠.

٧. سورة الشورى، الآية ٥٣.

٨. الكافي، ج٢، ص٣٠٧؛ الخصال، ص١٢؛ الأمالي للصدوق، ص٣٧١.

٩. في النسخة: في.

شمس البقاء بشعاع «لا إله غيري»، أو «سبحاني سبحاني ما أعظم شأني!»، وأمثاله ممّا يوقع توهّم كفر قائله.

وبالجملة: هذا هو المراد ممّا وقع عن أرباب التوحيد من الاتّحاد، ولذا قال الشيخ السهروردي:

> تقريب هذا المرام إلى العقول والأحلام بعد ما تبيّن بطلان الاتّحاد أنّ النفس وإن لم تكن في البدن لما كان بينها وبين البدن علاقة شديدة أشارت إلى البدن بأنا، حتى أنّ أكثر النفوس نسبت أنفسها وظنّت أن هو بأنّها هي البدن، كذلك لا مانع أن يحصل لنفس مع الباري علاقة شوقيّة نوريّة لاهوتيّة يحكم عليها شعاع قيّوميّ طامس يمحو عنها الالتفات إلى شيء يشير[1] إلى مبدئها إشارة روحانيّة فيستغرق الانبات.[2]

شعر:

تركت للناس دنياهم ودينهم　　شغلاً بذكرك يا ديني ودنياي

ومن الظاهر أنّ هذه الحالة الشعشعانيّة منحصرة في هذه النشأة الكاملة الإنسانيّة، وأيضاً إنّها تزيد على ما سواها من العوالم بأسرها حسبما حكم به الشيخ الربّاني محي الدين الأعرابي في **فصوصه** بقبولها للتجليّات الغير المتناهية وسعته الذات[3] وجميع الأسماء والصفات الغير المتناهية التي ما وسعها السماء والأرض يعني العالم العلوي والسفلي صوريّاً كان أو معنويّاً أي مجرّداً كان أو ماديّاً؛ يؤيّده الحديث القدسي بقوله العرشي: **ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**،[4] ومن هنا وقع عن بعض العرفاء: لو أنّ العرش وما حواه مئة ألف ألف مرّة في زاوية من زوايا قلب العارف لما أحسّ بها.

ثمّ لا يخفى جواز أن يكون إليه الإشارة الإلهيّة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا / ۷ / ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ**

---

۱. في الأصل: بحيث تشير إلى مبدئها بـ «أنا» إشارة روحانية، فستغرق الإنيّات في النور الأقهر الغير المتناهي.

۲. مجموعه مصنفات شيخ اشراق، ج۱، ص۵۰۲، مؤسسه مطالعات وتحقيقات فرهنگى.

۳. أي ذات الله تعالى. «م».

٤. نور البراهين للجزائري، ج۲، ص۱۷۲؛ تذكرة الموضوعات، ص۳۰؛ كشف الخفاء، ص۱۰۰.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[١][٢] فلذا تشرّف إنسان العين[٣] بل عين الإنسان بخطاب «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[٤] وأيضاً يزيد غيرها بالأحوال والصفات الناشئة من تركيب النفس والقوى المتلوّنة كالغضب والشهوة وغيرها من المُدركة الظاهرة والباطنة والمُحرّكة.

فقد استبان من جملة هذه الآيات الساطعة والبيّنات اللامعة عن مشرقة البيان أنّ النشأة الإنسانيّة حاوية لما ليس منطوياً في ما عداها من العوالم بأسرها، فتعيّن أن يكون هو الأكبر من العالم الآخر حتّى لو بدّل اشتمال العالم على ما في الإنسان بمحاذاته له لماكان وجه صحيح له؛ فقد بان بعين العرفان كون الإنسان مشتملاً على ما في العالم مع زيادات تَثْرىٰ من دون كونه مشتملاً على ما في الإنسان من طرق شتّى ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾[٥].

وأمّا الثاني[٦] فلأنّ ما في ذلك النظم المقدّس المرتضوي محتوٍ على احتواء الإنسان، لا الاحتواء على ما في الإنسان، فلا يكون موافقاً لما أورده سنداً له، فأحسنْ تدبّره.

ثمّ ما ذكره متّصلاً بهذا المنظوم بقوله: «فمن عرف نفسه بهذه المعرفة كانت وسيلة إلى معرفة الصانع وصفات جلاله وجماله على أبلغ الوجوه بحسب الطاقة... إلخ» منظوم معلوم قطعاً، إلّا أنّ تقديم الجمال على الجلال أولى، والأمر فيه هيّنٌ كما لا يخفى؛ وإنّما ذلك[٧] لأنّه مظهر جميع الأسماء والصفات على الإطلاق، واحتواؤه على جميع ما في الآفاق، فنور يشرق /٨/ من صبح الأزل على هياكل

---

١. من باب التعظيم. «م».

٢. سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

٣. أي النبي ﷺ. «م».

٤. تفسير القمي، ج١، ص١٧؛ تذكرة الموضوعات، ص٨٦؛ تفسير كنز الدقائق، ج٢، ص٣٥٠؛ بحارالأنوار، ج١٦، ص٤٠٦؛ مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٧٩ و ١٨٦.

٥. سورة طه، الآية ١٢.

٦. وهو عدم ملاءمته لما أورده. «م».

٧. أي معرفة نفسه وسيلة إلى معرفة الصانع. «م».

الماهيّات آثار توحيده؛ حسبما يرشدك إليه قوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1] ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل.

ثمّ لا يخفى أنّ المراد من المعرفة حينئذٍ مطلق العلم به وإن كان في ضمن التصديق به.

ثمّ ذكر ذلك الفاضل الماجد:

ومنها أنّ إدراك حقيقة النفس متعذّر أو متعسّر ـ إلى قوله ـ وإذا كان هذا حال النفس مع أنّها أدنى[2] الأشياء إلى نفسها فكيف يطمع في إدراك الواجب، انتهى.

والظاهر من المعرفة عند أربابها هو هذا؛ حيث إنّها الإدراك التصوّري سيّما بالبسيط الحقيقي كما لا يخفى، فيناسب هذا التقرير غاية المناسبة ذاتها ونهاية المعانقة أسناها، وإن صحّ إطلاقها على العلم التصديقي ـ كما مرّ ـ كما لا يخفى على الفلسفي.

وإذا تقرّر هذا فنقول: سرّ عدم تعقّل النفس نفسها بساطة جوهر ذاتها وعدم تركّبها من الأجزاء المعنويّة[3] وإن تركّبت من الأجزاء العقليّة كما لا يخفى، فمَن عجز عن معرفة نفسه فأخلقُ به أن يعجز عن معرفة ربّه؛ شعر:

وليس يعرفه مَن ليس يشهد ... وكيف يشهد ضوءَ الشمس مكفوف

وإنّما ذلك لبساطته الصرفة الأحديّة وهويّته الصمديّة المقدّسة عن الكثرة قبل الذات[4] ومع الذات[5] وبعد الذات[6].

ثمّ قال:

والغرض امتناع إدراك حقيقة الواجب بتعليقه على ما علم استحالته، لا الاستدلال على امتناعه ليرد عليه أنّ استثناء نقيض المقدم لا ينتج.

---

١. سورة فصّلت، الآية ٥٣.

٢. أي أقربها. «م».

٣. أي الأجزاء الخارجية على اصطلاح الحكماء. «م».

٤. إشارة إلى الأحمدية. «م».

٥. إشارة إلى مرتبة الصمدية. «م».

٦. إشارة إلى عينية الصفات. «م».

هذا كلامه، ولا يخفى عليك أنّ من اللازم ما يكون مساوياً لملزومه فينتج استثناء نقيض المقدم نقيض تاليه كما ينتج عكسه، وكذا الأمر في استثناء عين التالي، ولعلّ الأمر في ما نحن بصدده كذلك فتدبّر، على أنّ فيه كلاماً فوق هذا فلا حاجة له إلى ما التزمه بقوله:

ويمكن ردّه إلى قياس استثنائيّ بالنظر إلى ما يعطيه الكلام كما ذكرنا، لا بالنظر إلى ظاهره، وحاصله: لو عرف ربّه لعرف نفسه. انتهى.

ثم استشهد لما أورده أوّلاً بقوله:

وإلى هذا أشار عليه السلام /٩/ بما روي عنه شعر:

كيفيّة النفس ليس المرء يدركها ... فكيف كيفيّة الجبّار في القدم

هو الذي أوجد الأشياء من عدم ... فكيف يدركه مستحدث النسم

انتهى.

يعني أن ليس في وسع الممكن المحدَث ووُجْده أن يقدر قدر الواجب القديم، ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قدره﴾[1]؛ ضرورة توقّفه على ضرب من المناسبة الحقيقيّة أو المجازية ليست ولا يكون بين الممكن المحدث والواجب القديم، فكيف له الوصول إلى سرادقات عزّه؟ لأنّه وما له يجوز عليه الفناء، بل إنّه الفناء بذاته حين البقاء فضلاً عمّا له من الأحوال، فلا يناسب بوجه ما ذلك المبدأ المتعال، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، ومن هاهنا حذّر عباده بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2].

وقد بالغ فيه صلى الله عليه وآله على ما روي عنه أنّه قال: «**كلّنا في ذات الله حمقى**»[3]، «**تفكّروا في آلاء الله، ولا تتفكّروا في ذاته**»[4]. هذا، سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته.

---

١. سورة الأنعام، الآية ٩١؛ الحج، الآية ٧٤؛ الزمر، الآية ٦٧.

٢. سورة آل عمران، الآية ٣٠.

٣. لم يوجد في مصدر.

٤. بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٢٢؛ مجمع الزوائد، ج١، ص٨١؛ كنز العمال، ج٣، ص١٠٦؛ الدر المنثور، ج٢، ص١١٠.

وبالجملة: لمّا كانت النفس قطرة من قطرات سحائب رحمته، ورشحة من رشحات بحار رأفته يكون لامحالة بحراً لُجّيّا[1] لا ساحل لها، فإذا أُحيلت تلك المعرفة الوجوبيّة الربوبيّة على معرفة جوهر نفسها فيتحيّر فيها بتراكم أمواج الفكرة وتلاطم أمواجها، ومن هنا قيل: النفس بحرٌ لا ساحل له. فأحالهم في المعرفة عليهم، فلمّا دخلوا بحر معرفتهم غرقوا، وما برحوا يقاسون أمواج البحر فكرةً وكشفاً إلى أن عرفوا أنّ معرفتهم بهم بحر لا ساحل له يُنتهى إليه فينقلهم إلى معرفة الربوبيّة فيئسوا، وبهذا نطق كلام الله الناطق: «**لا أُحصي ثناءاً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك**»[2]، فقد استبان أنّ ذاتك على ذاتك لا يكون مسلكاً ودليلاً، ﴿**قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[3]، و«**زدني فيك تحيّراً**»[4] لنرى[5] آياتك الكبرى؛ إنّك على كلّ شيء قدير، وبالإجابة جدير.

ومن تضاعيف الكلام ظهر اندفاع الإيراد بأنّه إذا لم يكن بين الرب والمربوب والرازق والمرزوق مناسبة رأساً /۱۰/ فكيف يَحكم الحاكم بالقسط بقوله: **من عرف نفسه عرف ربّه**؟

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

---

۱. في الهامش: لأنه قطرة منه بحراً عظيما.
۲. الكافي، ج۳، ص۳۲٤ و ٤٦۹؛ التوحيد، ص۱۱٤؛ تهذيب الأحكام، ج۳، ص۱۸۵؛ المقنعة، ص۲۲۷؛ مصباح المتهجد، ص٤٦ و ۱۱۲ و ۳۱۵ و ۳٤٦ و....
۳. سورة الإسراء، الآية ۸۵.
٤. نور البراهين، للجزائري، ج۲، ص۱٤۵؛ شرح الأسماء الحسنى، ج۱، ص۱۹۸.
۵. خ ل: لأرى.